ذاكرة عراقية

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

العـدد (1371) الاثـنيـن (17) تشرين الـثـاني 2008

متى عرف العراقيون التلغراف ؟
ص 10

مذكرات الملك فيصل الاول تكشف الستار عن اسرار القضية العربية والعراق

قرأنـا العديد مـن مذكرات الملوك والرؤسـاء في العالم وكذلك قادة الاحزاب السياسـية ورؤسـاء الوزارات الذين كان لهم حضورهم الفاعل والنشيط في القرن العشرين وساهموا مساهمة مؤثرة جـداً في مسـار الاحداث أو كان ذلك بعـد تخليهم عن مهامهم الرسـمية أو تقاعدهم أو ابتعادهم عن العمل والفعل السياسـيين لأي سبب كان. فقد قرأنا مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ابرز سـلاطين بني عثمان واكثرهم تأثيراً في القرنين التاسـع عشر والعشرين كما قرأنا مذكرات لويد جورج وونسـتون تشرشـل وانتوني ايدن ودوايت ايزنهاور وخروشـوف والجنرال ديغول ومذكرات الآخرين.

مثري العاني

كما وقرأنا مذكرات مبدعين في الادب والفلسفة والفن مثل مذكرات جان بول سارتر ولوي اراغون وكانتزاكي وسيمون دي بوفوار وبابلو نيرودا. كما ان بعض الادباء والمبدعين العرب كتبوا مذكراتهم مثل طه حسين في ايامه واحمد امين عن حياته وعباس محمود العقاد ومحمد مهدي الجواهري وجبرا ابراهيم جبرا ورضا مينا ويوسف وهبي وآخرين جعلونا نطلع على اسرار حياتهم وسيرتها و(احداث والحوادث التي عايشوها وساهموا فيها وكشفوا عن امور ذات اهمية بالغة لم تكن معروفة في حينه أو طواها النسيان أو كانت هذه المذكرات معيناً لا ينضب للباحثين والدارسين ومؤرخي الادب والسياسة لدراستها وتمحيصها وتسليط الاضواء على مضامينها ومدى اهمية هذه الامور في الحياة العامة والخاصة والحقبة التي عاشها صاحب المذكرات.

الا ان العديد من الذين ساهموا بصنع الاحداث ورسم ملامحها من قادة الدول العربية بالذات وملوكها فأننا لم نقرأ مذكرات لهم وذهبت اسرار حياتهم العامة والخاصة معهم وطمرها النسيان، فلم نقرأ على سبيل المثال أي مذكرات لملوك العراق الثلاثة (فيصل الاول وغازي و فيصل

الثاني) رغم اهمية الفترة التي عايشوها واكدوا وجودهم فيها ولم نقرأ ايضاً مذكرات الامير عبدالاله الوصي على العرش ونوري سعيد اشهر رئيس وزراء في العهد الملكي واكثرهم فاعلية اضافة الى عدم اطلاعنا على مذكرات لجمال عبد الناصر أو الملك فاروق آخر ملوك مصر أو الملك عبد العزيز السعود مؤسس المملكة العربية السعودية أو الحبيب بو رقيبة أو الملا مصطفى البارزاني والحديث يطول اذا عددنا الاسماء وهو امر يبعث على الغرابة لعدم قيام هؤلاء بتدوين مذكراتهم لاسباب لا زلنا نجهلها.

في احد الايام وانا القي نظرة على الكتب المعروضة على البسطات الموجودة في شارع النجفي في الموصل وقع نظري على كتاب (مذكرات فيصل) مع كتاب آخر بعنوان (قضية الموصل في مؤتمر لوزان) تأليف ب.ط. سعيد سارعت لاقتناء الكتابين بسعر قدره ربع دينار لكليهما. ووضعت الكتابين ضمن الكتب التي تضمها مكتبتي الشخصية البسيطة، بعدها تحدثت عن الكتاب الاول (مذكرات فيصل) مع اكثر من باحث ومهتم ودارس فكان الجميع يصرون عل عدم وجود مذكرات بهذا العنوان وان الملك فيصل الاول لم يدون مذكراته حسب علمهم.

فكنت اطلعهم على الكتاب ليتأكد ذلك لديهم بعدها نسيت الكتاب وكنت قد قرأته عند اقتنائي له وقبل عدة ايام زارني احد اساتذة التاريخ في جامعة الموصل فتحدثنا عن امور كثيرة منها الحياة السياسية في العراق ومراحلها فاوضحت له عن وجود كتاب أو مذكرات للملك فيصل لكنه بين لي انه لم يسمع أو يطلع على مثل هذا الكتاب ورجاني ان اعيره الكتاب لتصويره وقراءته وبدأت بالتحري عن الكتاب بين كتبي في مكتبتي الشخصية حتى عثرت عليه مؤخراً بين واحد من المجلدات فسررت لذلك فقد عاد الكتاب الضائع!؟ وها انا استعرضه ليطلع عليه من يهمه تاريخ العراق ومقدراته.

رغم صغر الكتاب الا انه ينشر للمرة الاولى ولم يتم طبعه ثانية حسب علمي.

الكتاب في (٤٨) صفحة من القطع الصغير اصدره سامي الشمعة وقد صدر عن مطبعة دار اليقظة العربية في دمشق (د.ت) وسامي الشمعة كان يصدر نشرة اسبوعية تبحث في السياسة والشؤون الداخلية هذه النشرة اسمها (اسبوعيات) وكانت تصدر بين يوم وآخر. كما ان سامي الشمعة اصدر عدة كتب منها (القضية الشرقية والقضية العربية والقضية السورية وفنون الحب ومذكرات الكولونيل لورانس) وكتب اخرى.

عنوان الكتاب الكامل هو (مذكرات فيصل. مذكرات سرية عن القضية واحتلال سوريا).

يتضمن الكتاب رسالتين من ايطاليا الى لويد جورج والرسائل المتبادلة بين الملك حسين والسير لكماهون.

وللمعلومات فلويد جورج هو رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩٢٠ اما الملك حسين فهو والد فيصل الذي كان يسمى بـ(شريف مكة).

يوضح سامي الشمعة في مقدمته ان (للمغفور له الملك فيصل مذكرات- مذكرات مكتوبة- توضح بكثير من الصراحة عقلية الفرنسيين والاسباب التي اتخذوها حجة لاحتلال سوريا عام ١٩١٩- ١٩٢٠ بالرغم من صبر الملك وثقته بالعهود والوعود المقطوعة) وهذا يعني ان هذه المذكرات طبعت بعد وفاة الملك فيصل الاول عام ١٩٣٢ في سويسرا.

وهذه المذكرات التي يطالعها القراء- وهي مذكرات غير منشورة- تكشف الستار عن نواح كثيرة من القضية العربية والقضية السورية وقد دونها المغفور له الملك فيصل بنفسه وبعث بها الى الحكومة الانكليزية من ايطاليا بعد ان غادر درعا تحت قصف المدافع.

اما كيف وصلت الينا هذه المذكرات- وهي سرية ومكتومة فأننا نكتفي بالقول ان شخصية عربية كبيرة لا نستطيع ذكر اسمها، -استطاعت بفضل وظيفتها في لندن ان تحصل على نسخة انكليزية من هذه المذكرات وقد سمح لنا بتعريبها عن الانكليزية بعد حذف قسم غير ضئيل منهايتعلق ببعض الدول وبعض الشخصيات السورية ص(ب) من المذكرات.

اما الثانية فكانت بتاريخ ١٣- ايلول- ١٩٢٠ ومن نفس القصر وبعد ان ارسل الملك فيصل الرسالتين السابقتين اعلاه الى لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية ارسل مذكرة طويلة الى الحكومة البريطانية يستعرض فيها المراسلات التي جرت بين والده (شريف مكة) والسير مكماهون وهذه المراسلات التي لم يتم الاطلاع عليها في حينه سوى (الملك فيصل) باعتباره الابن الاكبر لشريف مكة. وان هذه المذكرة الطويلة توضح المراحل التي مرت بها القضية العربية قبل سقوط الدولة العثمانية ودخول الحلفاء الى الدول العربية، ومنها يتضح ايضاً ان الوعود التي تقطعها الدول الاستعمارية الى الشعوب المحتلة لا قيمة لها وان هذه الدول لا تفي بوعودها والتزاماتها تجاه الشعوب المغلوبة على امرها.

كنا نتمنى ان نعرف اسم الشخصية التي اوصلت الرسائل مع المذكرة لنعرف موقعها ومدى تاثيرها على الاحداث في حينه والمسؤولية التي كان يقوم بها.

الرسائل والمذكرة المرفقة بها من الوثائق المهمة والخطيرة كما قيل ولم تفقد اهميتها رغم مرور الزمن.

جعفر العسكري

يتكلم سبع لغات ويجيد (النكتة) ومخلص لملكه وبلاده

جعفر لبجة

لم يزلْ أدب المذكرات يثير الشيء الكثير لدى المهتمين بتأريخنا وأصبحت من المصادر التي لا يستغنى عنها في كتابة هذا التأريخ وتحت يدي ما أصدرته دار اللام في لندن من مذكرات لأحد اعلام اليقظة الوطنية في العراق الحديث، ألا وهو جعفر العسكري، السياسي العراقي الرائد.. وفي هذا المقال نعرض سيرته التي تضمنتها هذه المذكرات وهي جديرة بالقراءة والتوثيق.

ولد محمد جعفر العسكري في بغداد في ١٥/ ٩/ ١٨٨٥ وكان والده مصطفى عبدالرحمن المدرس ضابطاً في الجيش العثماني برتبة قائممقام (عقيد)، اشترك في الحرب الروسية. التركية عام ١٨٧٧.

وقد انجب خمسة أبناء كان جعفر رابعهم، ولم يكن لقب العسكري الذي لحق باسم جعفر باشا نسبة الى الملك العسكري وان اختارها ملكاً له فيما بعد، بل نسبة الى قرية (عسكر) العراقية القريبة من مدينة كركوك. وقد انتقل اليها جده الأكبر عبدالله المدني والمنحدر من المدينة المنورة في القرن السادس عشر الميلادي.

إلا ان والده مصطفى العسكري والد جعفر انتقل الى الموصل وسكنها بعد احالته على التقاعد.

ولما أكمل جعفر دراسته الابتدائية، قرر أبوه ارساله الى بغداد مع أخيه (هادي) لادخاله المدرسة العسكرية وذلك لعدم وجود مدرسة عسكرية في الموصل، وتوفي أبوه في الموصل بعد سفر جعفر ببضعة أشهر.

وسيرة جعفر العسكري حافلة بالأحداث والمخاطر التي رمى نفسه في لُججها تحقيقاً لطموح كبير، وإيماناً بمبدأ له وهي تصلح ان تكون مادة لرواية مثيرة لما فيها من مغامرات وتحديات ومخاطر، انتهت نهاية مؤلمة حقاً ولكنها تتسق مع سيرته التي كانت عبارة عن أحداث مثيرة ومفاجآت ولو شاء كاتب قصصي ان يكتب رواية عن شخصية خيالية لكانت قصة حياة جعفر العسكري خير ممثل لها.

كان جعفر العسكري شخصية شعبية بغدادية أصيلة في لطفها ومرحها وشخصية طريفة لا يعرف التكلف وتروى عنه نكات كثيرة ومقالب متنوعة يتناقلها الناس في بغداد حتى الآن.لقد كان بديناً مكتنز الجسم ولكنه كان في الوقت نفسه سريع الحركة وذكياً.

كان جعفر العسكري قادراً على الدوام على الخروج من أصعب المآزق والتغلب على كثير من المشكلات بحلول عملية واقتراحات حكيمة أو نكتة ظريفة تلطف الجو والتوتر. جاءه مرة (ساسون حسقيل) وزير المالية العراقي اليهودي والمشهور بأخلاصه للعراق يشكو اليه بمرارة ان الملك فيصل الأول قال عنه: (ساسون صنيعة الأنكليز) وكان ساسون في حالة من الغضب والهياج.. فما كان من جعفر إلا ان يلاطفه ويخفف عنه بروح مرحة ووجه ضاحك: (لماذا تغضب؟.. فان فيصل نفسه هو صنيعة الانكليز).. وبهذا القول بدد ما في نفس ساسون من غضب وانزعاج، وبذلك تفادى تطوّر الأمر الى مشادة بين فيصل الأول وساسون ولربما كان ساسون في سبيل ابلاغ المندوب السامي بهذه الشكوى.

كتبت عنه (المس بيل) بعد لقائها معه في دمشق للمرة الأولى: (يتكلم جعفر باشا سبع لغات بطلاقة.. وقد امتحنني فيها جميعاً، ولكني لا أستطيع ان أجيبه بالكردية، أو التركية وقد حادثته باللغة الانكليزية وكذلك الفرنسية والالمانية والعربية والفارسية وهو اداري لا يجارى في الكفاءة على الرغم من كونه سميناً ومرحاً).

وفي رسالة ثانية كتبت بيل قائلة: (اتمنى لو كان هنالك اشخاص آخرون في مثل كمال واستقامة جعفر واعتداله، ان اخلاص جعفر للملك وتفانيه من أجله رائع حقاً، انني أعرف الرجل من كل ناحية وهو بديع بنفس الدرجة في محبته وشهامته نحو أهله وأطفاله وفي أخلاصه وحماسته لفيصل الذي يعده الرجل الوحيد القادر على قيادة القضية العربية الى النجاح والواقع ان هذا هو رأيي أيضاً (أي رأي مس بيل).

يقول نجدة فتحي صفوت: (ان جعفر العسكري كان يختلف عن أبناء جيله من الساسة العراقيين اختلافاً كبيراً، فانه اضافة الى نشأته العسكرية الممتازة وكونه ضابطاً لامعاً حقاً، ودرس في أرقى المدارس العسكرية في زمانه في تركيا وفي المانيا، فقد كان في الوقت نفسه شخصاً لم تقتصر اهتماماته على الشؤون العسكرية، بل كان على قدر كبير من الثقافة السياسية والعامة).

عاد جعفر العسكري الى العراق بعد انهيار الحكم الوطني في سوريا وعهد اليه بتمهيد الجو لانتخاب فيصل ملكاً على العراق، ثم أصبح وزيراً للدفاع في أول وزارة تألفت في عهد النقيب وأسس الجيش العراقي، ورافق السير برسي كوكس الى مؤتمر القاهرة الذي تقرر فيه تأسيس الدولة العراقية وترشيح فيصل لعرش العراق وشغل وزارتي الدفاع والخارجية أكثر من مرة، كما انه أصبح رئيساً للوزراء مرتين وكان على الدوام في قلب الأحداث وعلى أوثق صلة بالملك فيصل الأول وجميع ساسة العراق ورجالاته الذين كانوا يجمعون على محبته واحترامه، اضافة الى ذلك فان جعفر العسكري كان متزوجاً من شقيقة نوري السعيد، كما ان نوري السعيد قد تزوج شقيقة جعفر العسكري، لذلك كانت العلاقة بين الرجلين وثيقة والصداقة متينة والتعاون دائماً، وقد أصبح كل منهما سنداً للآخر، لذلك كان مقتل جعفر العسكري صدمة كبيرة لنوري السعيد، آلمته أشد الألم وبقي يذكره حتى آخر يوم في حياته.نال جعفر العسكري وسام فارس القديسين ميخائيل وجورج بعد عمليات الهجوم على (معان) ومحاصرتها، وكذلك نال جعفر العسكري وسام الصليب الحديدي الألماني، وكان هو الشخص الوحيد في التأريخ الذي حصل على هذين الوسامين في وقت واحد.